قراءة تأملية في ديوان "جدائل شعر" للشاعر عبدالله الأحمد أبي جنة

* مقدمة ومدخل توثيقي للديوان:

يأتي ديوان "جدائل شعر" للشاعر البهي عبدالله الأحمد (أبي جنة)، الصادر عن جمعية ابن المقرب للتنمية الأدبية والثقافية (1447هـ - 2026م)، ليقدم تجربة شعرية امتدت على مدى سنوات من الاشتغال والصقل الفني ؛ حيث نجح في صياغة نصوصه بوعي فني يراوح بين الأصالة والمعاصرة عبر ثلاثةٍ وثلاثين نصًا، ثلاثةٌ منها من شعر التفعيلة والباقي من الشعر العمودي.

والآن دعونا نُسَرِّحُ ونَسْرَحُ في جدائل شعر شاعرنا المبدع عبدالله الأحمد أبي جنة لنتلمس مواطنَ الجمالِ فيه مفتتحين القراءة ب:

* العنوان ودلالاته الفنية:

يُطلُ علينا عنوانُ ديوان «جدائل شِعر» محمّلا بصورة شعرية تحمل دلالات رمزية طريفة ؛ فالجدائل تتسم بالتداخل والكثافة والتعدد، وحين يقترن هذا اللفظ بمفردة «شِعر»، تتسع الصورةُ لتشير إلى القصائد وهي تتجاور بكل حيثياتها مكونةً نسيجًا واحدًا، ومن جانب آخر؛ نجد أن للعنوان معانيَ دلاليةً بين الشَّعْر والشِّعْر؛ فجدائلُ الشَّعْرِ تحيلنا للصورة الحسية، أما جدائلُ الشِّعْرِ فهي ماينسج بالكلمة ويتسع بالخيال .

ومن هذا التداخل والتعالق يستمد العنوانُ جمالَهُ وإيحاءَه، ممهدًا لنا الطريق لمدخلٍ مناسبٍ لقراءة الديوان .

بعد هذه المقدمة والإطلالة الموضوعية المقتضبة للعنوان، نلج الآن إلى الملامح الفنية التي يحملها الديوان وذلك من خلال ثماني محطاتٍ، تعقبها خاتمةٌ:

* البنية الفنية والأسلوبية:

يتميز الديوان بلغة واضحة لا إطناب فيها، مما يجعله تجسيداً حياً لأسلوب ما يسمى "بالسهل الممتنع"؛ حيث تبتعد غالبيةُ النصوص عن التقعر والتشظي والتكلف اللفظي، كما يظهر مثلًا في قصيدة "غانية":

تكاملتْ الخصالُ فبعضُ وصفٍ

يُطالُ وبعضُ وصفٍ لا يُطالُ

تمر على الدروب فكلّ خطوٍ

له في سكةِ الشوقِ اشتعالُ

ويظهر كذلك في قصيدته "ثقبٌ أسود" :

أريدُكِ طائرَ الشوق المعنّى

يطيرُ بجانبي ويرفّ حولي

فتحضننا الغيومُ إذا التقينا

ونسعدُ بالغناء بكل حقلِ

ولا أرضاك في قفص المرايا

كظلي كم وكم أتعبتُ ظلي

الرؤية الشعرية والتكثيف اللغوي: يميل الشاعر إلى اقتناصِ اللحظة الشعورية وتكثيفِها في صور موجزة وموحية تشبه "الرذاذ المخفف" الذي يتسرب إلى الأعماق بلا صخب؛ كما عبر عن ذلك الأديب الشيخ يحيي الراضي في مقدمته على الديوان ؛ ومن ذلك قول أبي جنة في قصيدة له ملفتة بعنوان "غرقٌ في نقطة وقت" سأطيل فيها لأمر سأذكره بعد النص، يقول :

عندما تغرقُ في نقطةِ وقتٍ

وترى العُمقَ بأوهامك أعمقْ

فتعمق

وتعمق

ربما لؤلؤةُ السرِّ بمحّارِ بأعماقِك تُخلقْ

عندما تطفو كحبَات غبارٍ

أو قصاصاتِ ورق

وترى الدربَ شريداً

وترى الرحلةَ تلتفّ على غيرِ نسقْ

وترى الضوءَ تغشاه ظلامٌ

في محيطٍ من غسقْ

فتعمق

علّ في ذاتك بعداً آخراً

يفضي إلى الدربِ

وباباً ما انغلقْ

عندما تبصرُ أوراقك تذوي

في خريفِ العمرِ

تصفَرّ ُ وتسّ َاقطُ أوراقُ الشبقْ

وترى اللهفةَ ما كانت سوى رشفةِ كاسٍ

وترى اللذةَ كوباً واندلقْ

* توصية:

وهنا لابد لي أن أقف قليًلا لأدعوَ أبا جنة إلى خوضِ غِمارِ شعرِ التفعيلة لإيماني الكبير بجمالية نفسه في هذا النوع من الشعر لامتلاكه القدرة والمكنة على ذلك.

* الإنسيابية والجرس الموسيقي : تتسق لُغةُ الديوان بانسيابيةٍ فاتنة وجرسٍ موسيقي رائع، حيث تنساب القوافي متدفقةً رقراقة، كقوله في قصيدة

"العيون السماوية":

عيونُكِ أبحرٌ، والقلبُ صادي

فمري بالسلام على فؤادي

أنا في لُجةٍ من بحر غيي

فرديني إلى فُلكِ الرشادِ

عيونُكِ والسماءُ على وفاقٍ

لها تمتدُ أعناقُ العبادِ

وقوله في مطلع قصيدة له بعنوان "هاطلة":

لـْتِ في مهجتي قطْرًا من العنبِ

فصرتُ رقصةَ صوفيٍّ بلا حُجُبِ

وكان لي فيكِ معراجانِ من شغفٍ

إن جدّ َ لي سببٌ أسمو إلى سببِ

عشقي تعتق من تفاح آدمهِ

وشقوتي فيكِ لم تبرح بعمر صبي

النزعة الصوفية: تتلبس الشاعرَ الجميل أبا جنة نزعةٌ صوفيةٌ واضحة في الكثير من نصوصه وخاصةً الغزلية منها وذلك في تصوري الخاص راجعٌ لطبيعة شخصيته التي تتسم بالوقار والسكينة إلى درجة أنك تشعر وأنت بجانبه أنك أمام كتلةٍ من الوداعة وهالةٍ هائلةٍ من العفويةِ والبراءة؛ حيث يجعله ذلك منساقًا ومتلبسًا بهذه النزعة الصوفية أثناء الكتابة ؛ كقوله في قصيدة "متصوف":

أنا في هواها عارفٌ متصوفُ

أهوى اكتشافَ جمالِ ما لا يُكشفُ

تغريني الأسرارُ في أزرارها

وأنا بتفكيك الطلاسم أعرفُ

وفي قوله من قصيدة "غياب":

فمتى أُعيدُ إليّ َ دفءَ مواسمي

ومتى تعود مراكبي من خلف أقنعة الضبابْ

وأعيشُ يوماً لا ينامُ على جروحِ الأمسِ

يوماً ترقصُ الأنفاسُ فيه بلا اضطرابْ

يذوبُ في صدري جليدُ اليأسِ

يفتح للمسرةِ ألفَ بابْ،

يجتاحني هذا الغيابْ

* شعرية الفقد : يصور الشاعر الأحمد لوعةَ الحزنِ وحرارةَ الفقدِ الذي يملأُ كلّ َ زاويةٍ من زوايا قلبه ووجدانه؛ حيث تفيضُ صفحاتُ الديوان بلوعة الفقد وثيمة الفراق وانصهار المشاعر ، عندما يتحول رثاءُ الأب والأم إلى حالةٍ روحيةٍ مؤلمة تترك ندوباً لا تسعها الذاكرة :

ففي رثاء أبيه يقول:

يسلّيه الكرى لكن جفاهُ

وكيف ينام من ينعى أباهُ

يحاصرني الأسى من كل صوب

كقبرك إذ يغطيني ثراهُ

ويعصرني الأسى في دكتيه

وأحبسُ صرخةً فتفرُ آهُ

أبي وطني وأيّ ُ أبٍ عزيزٍ

كأن ا َ لم يخلق سواهُ

أبي يا نكهة "الأحساء" فينا

أتى وقت الصرام بلا شذاهُ

وفي رثاء أمه من قصيدة

"أجنحة الأمان" يقول:

شجاني من غيابكِ ما شجاني

وساح بمقلتي دمعًا كِياني

تلفتنا فلم نلمحكِ حِضناً

يغطينا بأجنحة الأمان

* ذاكرةُ المكان:

تُمثّل "ذاكرةُ المكان" في الوجدان الشعري عند أبي جنة نبضاً حيّاً يستنطق به الأماكن ، ويحولها إلى أحاسيسَ إنسانيةٍ ومشاعرَ حيةٍ كما في قوله عن الأحساء :

لوّح إلى الأحساء يا شعرُ

فلحضنها في خافقي عطرُ

يا صنوةَ الأملاكِ في نسكٍ

ينسابُ منكِ السلمُ والفكرُ

ومن قصيدة له بعنوان

" باريس " يقول :

دعاني منكِ يا (باريسُ) داعي

فجئتُ ولهفتي الحرّى متاعي

إذا فاضَ الهُيامُ على ضلوعي

تفتحتِ الأقاحي في يراعي

مشيتُ مشرداً في كلّ دربٍ

ضياعي فيكِ ما أحلى ضياعي

هنا في ساحةِ "الكونكوردِ" فجرٌ

تبلّجَ من هِتافاتِ الجياعِ

ومن "فولتير" إشراقٌ ثريٌّ

به التنويرُ يُشرقُ في البقاعِ

ليهوي في ثرى "الباستيلِ" عهدٌ

من الإقطاعِ مات بلا نواعي

* فلسفة وتعريف الحب :

يقدم شاعرنا المتألق عبدا الأحمد رؤيةً عميقةً للحب تتجاوز المعاني العاطفية البسيطة. فالحب في مفهومه يمثل "مختبرا للوجود" وقوةً خلاقةً تعيد هندسةَ الحياة وصياغةَ الأرواح، وتربط الإنسانَ بجذوره الأولى بانسجام يشبه تناغم الأقطاب في الفضاء، لتتلاشى معها أشكال الشقاء لينبعثَ الوجودُ الإنساني من جديد في مقطع شعري بديع من قصيدة له بعنوان " توأم الروح":

للحبّ فلسفةٌ وراءَ حدودِنا

تاهت بأبسطِ سرّهِا الآراءُ

هو بانجذابِ القطبِ نحو نظيرهِ

في سكرةِ الدورانِ، دارَ فضاءُ

الحبّ مختبرُ الوجودِ به يعيدُ

صياغةَ الأرواحِ كيف يَشاءُ

فيه التكوّنُ من سديمٍ آخرٍ

حتى تصيرَ لخلقنا أسماءُ

ويعيدُ هندسةَ الحياةِ ليرتقي

إنسانُنا ويموتَ فيه شقاءُ

ويعيدُ برمجةَ الشعورِ كأنّـَهُ

هو للمشاعرِ ومضُها الوضاءُ

ويعيدُ خلقَ وجودِنا فنانُهُ

وتعودُ في أضلاعنا حواءُ

* الانفتاح الفكري والوسطية : يحمل الديوانُ نزعةً تحررية ً واعية ً تدعو إلى الوسطية والانفتاح الفكري ورفضِ التزمتِ والنمطية ، كما في قصيدة "وسطية":

هنا سأسْتـَقيلُ من دمي

وأحمل الحياةَ بالوسطْ

لأنني للحب أنتمي

فكل ما خالفه غلطْ

النمطُ الواحدُ سكرةٌ

لا تحسبوا الصحوةَ بالنمطْ

* المحطة الخاتمة:

يُثبت ديوان "جدائل شعر" أن الشاعر الأحمد يمتلك أدوات فنية رائعة؛ إذ استطاع أن يزاوج بين رقة الرومانسية الكلاسيكية ومظهرٍ من مظاهر الحداثة، مقدماً وجبةً شعرية ً تتسم بالانسيابية والموسيقى العالية والصدق الوجداني والرؤية الواضحة .

عبدالمجيد الموسوي